

شرح أصول الكافي

[53] والغموض الغور، والغامض من الكلام خلاف الواضح، والطلب بفتح اللام مصدر بمعنى المفعول، يعني غار فيه العقل وفات مطلوبه ولم ينله لدقته، ولو كان غمض بتشديد الميم من تغميض العين وهو إطباق أجفانها كان في الكلام استعارة مكنية وتخيلية وهو مع ذلك كناية عن عدم إدراك المطلوب، وفي كتاب العيون والتوحيد للصدوق - رحمه الله - : " أنه غمض فبهر العقل " بهر على البناء للمفعول من البهر بالفتح وهو الغلبة، يقال: بهره إذا غلبه فهو مبهور أي مغلوب. يعني هذا القول يخبرك أن ذلك الأمر غامض له غور شديد فبهر العقل وغلب لانقطاع إدراكه وانسداده سبيله قبل الوصول إليه وهذا أظهر وأنسب بالمقام لإفادته صريحا ما هو علة لفوات الطلب أعني غور ذلك الأمر (وعاد متعمقا متلطفا) أي صار ذلك الأمر ذا عمق ودقة (لا يدركه الوهم) لبعده عمقه وغاية دقته وخفاء سبيله. (فهكذا لطف الله تعالى) الظاهر أن " لطف " على صيغة الفعل دون المصدر. (عن أن يدرك بحد أو يحد بوصف) أي عن أن يدرك شرح حقيقة ذاته أو ما له من كمال صفاته بالتحديد والتعيين، أما الأول فلأنه لا حد لحقيقته، وأما الثاني فلأنه ليس لما يعتبره العقول من كماله سبحانه نهاية يقف عندها فيكون العقل حادا له. (واللطافة منا الصغر والقلة) المستلزمان لعسر إدراك المتصف بهما وصعوبة نفوذ العقل فيه، واللطافة في الواجب ليست بمعنى الصغر والقلة كما عرفت (فقد جمعنا الاسم) أي اسم اللطيف (واختلف المعنى، لأن اللطافة منا صفة حادثة قائمة بنا، وفيه جل شأنه علمه الذي هو نفس ذاته الحق باعتبار نفوذه في جميع الأشياء، والاختلاف بينهما لا يشتبه على ذي عقل. (وأما الخبير) إذا أريد سبحانه (فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته شيء ليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء) يعني أنه تعالى خبير بمعنى أنه لا يبعد عنه شيء من الأشياء، ولا يغيب عنه أمر من الأمور، وليس خبره بالأشياء وعدم بعد شيء عنه مستندا إلى التجربة والتكرار ولا إلى النظر، والاعتبار هو العبور من علم إلى علم آخر، وفيه إشارة إلى أن علمه ليس بضروري ولا نظري (فعند التجربة والاعتبار علمان) أحدهما تجريبي ضروري والآخر اعتباري نظري، وفي كتاب العيون: " فتفيد التجربة والاعتبار علما " وهو الأصوب والأظهر (ولولاها ما علم) أي لولا التجربة والاعتبار ما علم شيئا ضرورة أن انتفاء السبب يوجب انتفاء المسبب، والمراد بالتجربة ما عدا طريق الاكتساب فيشمل طرق الضرورة كلها. ولما أشار إلى أن علمه ليس للتجربة والاعتبار بين ذلك وأثبتته بقوله: (لأن من كان كذلك كان جاهلا) يعني من استفاد علمه بالتجربة والاعتبار كان جاهلا قبلهما بالضرورة (والله لم يزل في مرتبة

